القصة القرآنية ودورها في تزكية النفس البشرية (قصة صاحب الجنتين أنموذجًا)

الدكتـــــور
جمال عبد القوي عمر الجاهل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة الجوف
ومدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بدسوق – جامعة الأزهر

ملخص البحث

القصة القرآنية ودورها في تزكية النفس البشرية (قصة صاحب الجنتين أنموذجاً)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول (ﷺ) ، ثم أما بعد :

فإن القصة القرآنية من الأساليب التي استثمرها القرآن الكريم في الإقناع والتأثير لنشر الدعوة، وإقامة الحجة على المعاندين، وتصحيح الجوانب العقدية والخلقية لدى الناس،. وهي منهج قرآني متفرد يحاكي واقعنا الذي نعيشه ، ويعالج كثيراً من هموم حياتنا التي نعانيها ؛ لذا فهي تنفذ إلى القلوب بسهولة ويسر، وتستريح النفس عند سماعها و لها تأثير عجيب في نفس الإنسان ؛ نظراً لسهولة استيعابها وفهمها ؛ لا سيما إذا كان مقصدها إصلاح النفس ، وتهذيب الوجدان ، و نشر القيم الصحيحة في المجتمع. ومن هذا المنطلق جاءت فكرة البحث التي تدعو إلى اتخاذ القصص القرآني أنموذجا يحتذى به، في تزكية النفس البشرية وتثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين ، وعدم الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها والغفلة عن آيات الله ، وقد تناولت قصة من هذه القصص بالدراسة والتحليل ، والبحث عن مواضع العبرة والعظة والدروس المستفادة منها ألا وهي قصة (صاحب الجنتين) .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ، ثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة: فضمنتها بعد الحمد والثناء بيان أهمية الموضوع والتي كانت سبباً في اختياري له وخطة البحث .

وأما المبحث الأول : فيدور حول تعريق القصة القرآنية ومميزاتها ، وخصائصها، وأنواعها ، وأهدافها .

وأما المبحث الثاني : فيدور حول التعريف بصاحب الجنتين وصاحبه ومناسبة ذكر قصتهم ، و عرض لمشاهد القصة والحوار الذي دار بين الرجلين .

وأما المبحث الثالث : فيدور حول أهم الدروس المستوحاة من قصة (صاحب الجنتين)

وأما الخاتمة: فتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات الافتتاحية:
القصة – صاحب الجنتين – التزكية – النفس – النصيحة – الغرور – الكبر.

إعداد الدكتور / جمال عبد القوي عمر الجاهل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بجامعة الجوف
ومدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق – جامعة الأزهر

Research Summary

The Qur'anic story and its role in Purifying the human soul

(The story of the owner of the two Gardens as an Example)

The Qur'anic story is one of the methods that the Holy Qur'an invested in persuading and influencing the propagation of preaching, establishing an argument against the stubborn, correcting the doctrinal and moral aspects of people, refining and recommending the human soul and other purposes that the Qur'anic story sought to achieve; Because of the suspense and attractiveness of the show, the sermons of the sermon and the lesson. The Qur'anic story is also a unique Quranic approach that simulates our reality that we live in, and addresses many of the concerns of our lives that we suffer; So it is easily and easily penetrated into the hearts, resting the soul upon hearing it and has an amazing effect on the human soul; Given its ease of understanding and preserving it, especially if its intention is to reform the soul, refine conscience, and spread the right values in society. From this standpoint, the idea of research that calls for taking the Qur'anic stories as a model to follow, came in recommending the human soul and establishing the correct belief in the hearts of believers, and not leaning towards the world and reassuring about it and neglecting the verses of Allah, and I have dealt with a story of these stories by studying and analysing, and searching for places The lesson, the sermon, and lessons learned from it, which is the story of (the owner of the two paradise). From

this standpoint, the idea of research that calls for adopting the Qur'anic stories was a model to be followed, in recommending the human soul and establishing the correct belief in the hearts of believers, and not relying on this world and reassuring about it and neglecting the ayatollahs .

And accordingly, Allah Almighty made fun of him and relied on him, and he used it in writing this research entitled:

The research is divided into an introduction, three sections, and a conclusion.

As for the introduction, I included it after praise and praise, explaining the importance of the topic, which was the reason for my choice of it and the research plan.

As for the first topic: it revolves around exposing the Qur'anic story, its characteristics, types, and goals.

As for the second topic: it revolves around the definition of the owner of the two paradise and its owner, and the occasion of mentioning their story in Surat Al-Kahf, and a presentation of scenes of the story and the dialogue that took place between the two men.

As for the third topic: it revolves around the most important lessons that are inspired by the story of (the owner of the two Gardens).

As for the conclusion: it includes the most important results of the research.

As for the conclusion: it includes the most important results of the research.

keywords: story - role - sponsorship - self - humanity.

Prepared by Dr. / Jamal Abdel-Qawi Omar Al-Jahl

Assistant Professor of Interpretation and Quranic Sciences Al-Jouf University

And teacher of interpretation and the sciences of the Koran, Faculty of Islamic Studies boys in Desouk - Al-Azhar University

Email: gamalabdelkaway2013@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، الملك السلام، المهيمن العلام، شارع الأحكام، ذي الجلال والإكرام، الذي أنزل القرآن بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً ، وبالاستعاذة مختتماً، وأوحاه على قسمين: متشابهاً ومحكماً، فسبحان من استأثر بالأوّلية والقدم ووسم كل شيء سواء بالحدوث عن العدم ومنّ علينا بنبيّنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرّق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم محمد النبي الأميّ المثبّت بالعصمة المؤيّد بالحكمة، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله الأطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والأنصار وعلى بقية الصحابة الأخيار، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار.[١] أما بعد :

فإن القصة القرآنية من الأساليب التي استثمرها القرآن الكريم في الإقناع والتأثير لنشر الدعوة، وإقامة الحجة على المعاندين، وتصحيح الجوانب العقدية والخلقية لدى الناس، وتهذيب النفس البشرية وتزكيتها وغيرها من

---

(١) ينظر مقدمة تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ١/ ٢ طبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة – سنة ١٢٨٥هـ

المقاصد التي سعت القصة القرآنية إلى تحقيقها؛ لما فيها من التشويق وجاذبية العرض ، ومواطن العظة والعبرة. كما أن القصة القرآنية منهج قرآني متفرد يحاكي واقعنا الذي نعيشه ، ويعالج كثيراً من هموم حياتنا التي نعانيها ؛ لذا فهي تنفذ إلى القلوب بسهولة ويسر ، وتستريح النفس عند سماعها و لها تأثير عجيب في نفس الإنسان ؛ نظراً لسهولة استيعابها فهماً وحفظاً لا سيما إذا كان مقصدها إصلاح النفس ، وتهذيب الوجدان و نشر القيم الصحيحة في المجتمع.

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة البحث التي تدعو إلى اتخاذ القصص القرآني أنموذجا يحتذى به، في تزكية النفس البشرية وتثبيت العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين ، و عدم الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها والغفلة عن آيات الله . قال تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[1]

وقد تناولت قصة من هذه القصص بالدراسة والتحليل ، والبحث عن مواضع العبرة والعظة والدروس المستفادة منها ألا وهي قصة (صاحب الجنتين)[2].

---

(١) سورة يوسف الآية رقم (٤) .

(٢) تطلق الجنة على البستان الذي تداخلت أغصان الأشجار فيه بحيث تستر وجه الأرض وما خلفها. وإذا كان البستان مسورًا محوطًا سمي حديقة. ينظر لسان العرب

وقد جاء البحث في مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وقائمة بأهم المصادر والمراجع وذلك على النحو التالي :

المقدمة : بينت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

المبحث الأول : القصة القرآنية ومميزاتها ، ويشتمل على :

- تعريف القصة القرآنية في اللغة والاصطلاح .
- خصائص القصة القرآنية و مميزاتها.
- أنواع القصة القرآنية.
- أهداف القصة القرآنية .

المبحث الثاني : **قصة** (**صاحب الجنتين**) **ويتضمن ما يلي** :

- التعريف بصاحب الجنتين وصاحبه ومناسبة ذكر قصتهم .
- عرض لمشاهد القصة والحوار الذي دار بين الرجلين .

المبحث الثالث : **الدروس المستفادة من قصة** (**صاحب الجنتين**)

- **الدرس الأول**: ذم الغرور والتكبر
- **الدرس الثاني**: تصحيح العقيدة
- **الدرس الثالث** : مشروعية الإكثار من قول(ما شاء الله لا قوة إلا بالله).
- **الدرس الرابع** : وجوب النصيحة

لابن منظور ١٣/ ١٠٠ط دار -صادر بيروت – الطبعة الثالثة -١٤١٤هـ. ٠ وسيأتي التعريف بصاحب الجنتين عند الحديث عن المبحث الثاني.

- **الدرس الخــامس:** بيـان معنـى تزكيـة الـنفس ، وأهميتهـا ، وأبـرز ملامحها في القصة .
- تعقيبات القرآن الكريم على قصة صاحب الجنتين
- **الخاتمة :** رصدت فيه أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

والمرجو أن يحقق البحث هدفه المنشود، فإن تم له ذلك فهـو توفيـق مـن الله تعالى ، وإن كانـت الأخـرى فحسبي أني بـذلت جهـدي،{ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ}(1)

ومن الله نستمد العون ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) سورة هود الآية رقم (٨٨)

المبحث الأول

القصة القرآنية ومميزاتها

وقد تضمن هذا المبحث أربعة مطالب أساسية وهي :

١ – تعريف القصة في اللغة والاصطلاح

٢ – خصائص القصة القرآنية و مميزاتها

٣– أنواع القصة القرآنية

٤ – أهداف القصة القرآنية :

أولاً : تعريف القصة في اللغة والاصطلاح

تعريف القصة في اللغة :

القصة – بالكسر – واحدة القصص، اسم مشتق من مادة : قص الدالة في وضع أصلها اللغوي على معنى التتبع بعمومه . **قال ابن منظور**[1] : " القَصُّ فِعْلُ الْقَاصِّ إذا قَصَّ القِصَصَ، وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ. وَيُقَالُ: فِي رأْسه قِصّةٌ يَعْنِي الجُمْلَةَ مِنَ الْكَلَامِ، ونحوُه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ

(١) محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، ولد عام ٦٣٠ هـ صاحب لسان العرب الإمام اللغوي الحجة ولد بمصر وقيل في طرابلس الغرب ، ولي القضاء في طرابلس وترك بخطه نحو خمسمائة مجلد عمي في آخر عمره ، توفي عام ٧١١هـ . ينظر الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ٧/ ١١٨ ط. الخامسة عشر الناشر / دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م

ﭐﻟۡﻘَﺼَﺺِ ﴾[1]؛ أَي نُبَيّن لَكَ أَحسن الْبَيَانِ. وَالْقَاصُّ: الَّذِي يأْتي بالقِصّة مِنْ فَصِّها. وَيُقَالُ: قَصَصْت الشَّيْءَ إِذا تتبّعْت أَثره شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[2] أَي اتّبِعي أَثَرَه"[3]

وقال ابن فارس[4] : " الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلهُمْ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي

---

(١) سورة يوسف الآية رقم (٣)

(٢) سورة القصص الآية (١١).

(٣) ينظر: لسان العرب لأبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري ٧/ ٧٣،٧٤ ، وجمهرة اللغة لأبي ببكر محمد بن الحسين بن دريد ١/ ١٤٢ ط. دار العلم للملايين الأولى ١٩٨٧م تحقيق / رمزي بعلبكي. والعين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٥/ ١٠ ومابعدها ط. دار ومكتبة الهلال تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي . و تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي ١٨/ ٩٨ دار الفكر – بيروت الأولى ١٤٤٠هـ و مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ١/ ٢٥٤ ط. المكتبة العصرية ١٤٢٠هـ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي ٢/ ٥٠٥ ط . دار الكتب العلمية — بيروت .

(٤) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها ، وألف كتابه المجمل في اللغة ، وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً وله كتاب حلية الفقهاء ، وله رسائل أنيقة ، مسائل في اللغة يحاجج بها الفقهاء ، توفي سنة ٣٩٠هـ بالري . ينظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء

الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ. وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ الْقَصُّ، وَهُوَ عِنْدَنَا قِيَاسُ الْبَابِ، لِأَنَّهُ مُتَسَاوِي الْعِظَامِ، كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ مِنْهَا يُتْبَعُ لِلْآخَرِ.

وَمِنَ الْبَابِ: قَصَصْتُ الشَّعْرَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قَصَصْتَهُ فَقَدْ سَوَّيْتَ بَيْنَ كُلِّ شَعْرَةٍ وَأُخْتِهَا، فَصَارَتِ الْوَاحِدَةُ كَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْأُخْرَى مُسَاوِيَةٌ لها فِي طَرِيقِهَا. وَقُصَاصُ الشَّعْرِ: نِهَايَةُ مَنْبِتِهِ مِنْ قُدُمٍ، وَقِيَاسُهُ صَحِيحٌ. وَالْقُصَّةُ: النَّاصِيَةُ، وَ الْقَصِيصِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ: الْبَعِيرُ يَقُصُّ أَثَرَ الرِّكَابِ. وَقَوْلُهُمْ: ضَرَبَ فُلَانٌ فُلَانًا فَأَقَصَّهُ، أَيْ أَدْنَاهُ مِنَ الْمَوْتِ. وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقُصُّ أَثَرَ الْمَنِيَّةِ. وَأَقَصَّ فُلَانًا السُّلْطَانُ مِنْ فُلَانٍ، إِذَا قَتَلَهُ قَوَدًا". [1]

وقص الخبر" إذا حدث به على أصح الوجوه وأصدقها ؛ لأنه من قص الأثر واقتصه إذا تتبعه وأحاط به خبراً "[2]، **وقال الراغب**[3] : " قصص: القص تتبع

الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ١/ ١١٨ ط. دار صادر – بيروت .

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، ٥/ ١١ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

(٢) ينظر : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ محمد رشيد رضا ١٢/ ٢٠٨ ط . الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٠م

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني أ و (الأصبهاني) المعروف بالراغب : أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان ، سكن بغداد ، اشتهر حتى كاد يقرن بالإمام الغزالي ، من كتبه ، محاضرات الأدباء ، والذريعة إلى أحكام

الأثـر، يقـال قصـصت أثـره والقـصص الأثـر، قـال: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[١] ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[٢] ومنه قيل لما يبقى من الكلأ فيتتبع أثره قصيص، وقصصت ظفره، والقصص الأخبار المتتبعة، قال:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤]

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾[٥] ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[٦]

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾[٧] ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٨]

الشريعة والأخلاق ، والمفردات في غريب القرآن ، توفي سنة ٥٠٢ ، ينظر وفيات الأعيان للزركلي ٢/ ٢٥٥.

(١) سورة الكهف الآية رقم (٦٤)

(٢) سورة القصص الآية رفم (١١)

(٣) سورة آل عمران الآية رقم (٦٢)

(٤) سورة يوسف الآية رقم (١١١)

(٥) سورة القصص الآية رقم (٢٥)

(٦) سورة يوسف الآية رقم (٣)

(٧) سورة الأعراف الآية رقم (٧)

(٨) سورة الأعراف الآية رقم (١٧٦)

مما سبق يتضح لنا أن القصة في اللغة تدور حول عدة معان وهي تتبع الأثر وجمع الأخبار وروايتها وبيان المعاني ووضوحها وصياغتها بدقة . وهي سرد لأحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها .

تعريف القصة في الاصطلاح :

تعددت أقوال العلماء في تعريف القصة ومن هذه الأقوال ما ذكره بعض المفسرين :

- فعرفها الفخر الرازي(١) بأنها " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ، ويرشد إلى الحق ، ويأمر بطلب النجاة" (٢).
- وعرفها الطاهر بن عاشور(٣) بأنها : " الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها ، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب ولد في مدينة هراه إحدى مدن بلاد الري سنة ٥٤٤ هـ . له مصنفات كثيرة في علوم الشريعة والفلسفة أشهرها كتابه في التفسير " مفاتيح الغيب " توفي بهراه سنة ٦٠٦هـ . ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢٤٨هـ .

(٢) ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٨/ ٧٤ الناشر/ ط. دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ

(٣) محمد الطاهر بن عاشور عالم وفقيه تونسي، ولد عام ١٨٧٩م تولى عدة مناصب أهمها شيخ الجامع الأعظم " الزيتونة" وفروعه وكان أول من حاضر بالعربية في تونس في القرن العشرين له مؤلفات كثيرة أشهرها كتابه في التفسير " التحرير والتنوير

قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم ".[1]

كما عرف القصة بعض المصنفين بعدة تعريفات منها :

- أن قصص القرآن هو " الجزء القرآني الذي يقص آثار الغابرين وبعض الأحداث الماضية ؛ ليقدم منها ما يرى أنه يحقق الغاية ويفي بالمقصود في معرضه فهي تشتمل على الأنباء الحقة التي لا زيف فيها "[2]
- أن قصص القرآن هو " تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئاً بعد شيء على ترتيبها "[3]
- أن قصص القرآن هو " ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظلام "[4]

" و" مقاصد الشريعة " توفي بتونس سنة ١٩٧٣م . ينظر كتاب شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ط. الدار العربية للكتاب - تونس – سنة ٢٠٠٨م .

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور١/ ٦٤ الناشر / الدار التونسية للطباعة والنشر سنة ١٩٨٤م

(٢) ينظر: البيان القصصي في القرآن الكريم للدكتور / إبراهيم عوضين صـ١٨ ط. دار الأصالة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

(٣) ينظر: تراث أبي الحسن الحرالي في التفسير ١/ ٥٩٤ طبعة منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط تحقيق الأستاذ محمادي عبد السلام الخياطي سنة ١٩٩٧م .

(٤) ينظر : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف لعبد الكريم الخطيب صـ٤٥ ط. دار المعرفة – بيروت – لبنان -.

- أن قصص القرآن هو " أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه "(١)

قلت : المتمعن في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للقصة يجد ارتباطاً وثيقاً بينهما من حيث الإخبار بصدق والبيان بوضوح والحكاية بنتيجة مستفادة .

ثانياً : خصائص القصة القرآنية ومميزاتها

القصص القرآني دون غيره من القصص تميز بجملة من المميزات أذكر منها :

١ - ربانية المصدر

فالقصة تبعاً للقرآن الكريم كله من الله تعالى لها من الخصائص ما للقرآن نفسه وليس للرسول ﷺ فيها إلا البلاغ قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٢)

٢ـ مطابقة الواقع والصدق وأنها حقيقة لا خيال

وبيان ذلك أن كل ما جاء في القرآن من قصص وأحداث وأخبار واقع حقيقة كما أخبر الله تعالى وليس نسج خيال ، وإنما يلجأ البشر إلى الخيال حين

---

(١) ينظر : مباحث في علوم القرآن للدكتور / مناع القطان صـ ٣١٦ طبعة دار المعارف للنشر والتوزيع – الرياض –.

(٢) سورة النجم رقم (٣، ٤).

تعجز قدراتهم العلمية عن الإحاطة بأحداث التاريخ واستخراج الحدث الذي يحتوي على ما يريدون إظهاره من أفكر وأراء وهذا شأنهم وتلك قدرتهم فيعوضون ذلك العجز بالخيال[1] ، فالقصة القرآنية بعيدة كل البعد عن الخيال الفني وهي قصص حقيقية لا تتناول إلا كل ما هو ثابت تاريخياً ولا دور للخيال أو الأسطورة فيه وهي بريئة

مما ادعاه البعض[2] من أن القصة القرآنية مثل القصة الفنية لا يلتزم فيها بالصدق لأنها جاءت بالتسلية ولها حبكة فنية . وقد رد الشيخ محمد

---

(١) ينظر : دراسات في علوم القرآن للدكتور / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي صـ ٦١٠ طبعة دار العصيمي للطباعة والنشر.

(٢) هو الدكتور محمد أحمد خلف الله في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٣٦٧هـ الموافق عام ١٩٤٨م وكانت الرسالة بعنوان (الفن القصصي في القرآن) وقد أثارت هذه الرسالة جدلاً كبيراً في ذلك الوقت ونقدها أحد أعضاء لجنة المناقشة وهو الأستاذ / أحمد أمين وكتب تقريرا إلى عميد كلية الآداب آنذاك ضمنه نقداً لاذعاً وقد نشر هذا التقرير في مجلة الرسالة. والدكتور أحمد خلف الله كان محور رسالته يدور على أن القصص القرآني عمل فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ ولمعرفة المزيد راجع نظرات شرعية في فكر منحرف صـ١٩ وما بعدها للأستاذ سليمان صالح الخراشي مكتبة النهضة القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٧/ ٢٠٠٧م وينظر مباحث في علوم القرآن للدكتور/ مناع القطان صـ٣٢٠ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

الغزالي[١] رحمه الله على هؤلاء المدعين وفرق بين قصص القرآن الكريم الواقعي وبين القصص الروائي الفني بقوله" إن القصص القرآني سرد واع موجه للتاريخ الإنساني ؛ ليس الغرض منه الإلهاء والتشويق ؛ بل الغرض منه التربية والتوعية وتجديد المعاني بعد انتهاء أهلها ؛ لتكون عظة دائمة . وقد شاع فن القصة في عصرنا شيوعاً يستحق الدهشة وامتلأت الأيدي بروايات يقرؤها حاملوها ؛ ليقطعوا الوقت أو يتلذذوا بحسن العرض جملة هذه الروايات من نسج الخيال وقد تكون إثارة وضعية والبون شاسع بين هذه الأقاصيص ، وبين التاريخ الذي يجسده القرآن الكريم ، ويغزو به الألباب والأبصار ؛ ليمحو الغفلة ويرفع المستوى ، ويضيء السبيل "[٢]

---

(١) هو الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا ولد عام ١٩١٧ م بقرية نكلا العنب مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة وتوفي عام ١٩٩٦ م عن عمر يناهز ٨٠ عام. يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين كما عُرف بأسلوبه الأدبي في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. ينظر الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم للدكتور / رمضان خميس الغريب صـ ٢٠ وما بعدها ط. دار الحرم للتراث ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر : مائة سؤال عن الإسلام صـ ١٥٥، ١٥٦ للشيخ محمد الغزالي ط. نهضة مصر القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٣- القصص القرآني بث بأسلوب بديع إذ سيق في مظان الاتعاظ بها مع المحافظة على الغرض الأصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع[١]، وهو يعتمد أساساً على الأحداث ولا يهتم كثيراً بالأشخاص بخلاف القصص التاريخي فهو يوجه عنايته للشخص أكثر من عنايته بالحادثة .

٤- قصص القرآن الكريم قد جاء على وفق الحياة التي يحياها الناس ولم يخرج عن مألوفها ، ولو جاء على غير هذا لم كان للناس التفات إليه ولا انتفاع به فهو وإن يكن سماوي المطلع فهو بشري الصورة إنساني المنازع والعواطف يتحدث عن الناس إلى الناس ويأخذ من الحياة للحياة يقرأه الناس ويسمعونه ، فكأنما يقرأون أطواء أنفسهم ، ويسمعون همس ضمائرهم ووسوسة خواطرهم ، ومن هنا فهم يعيشون فيه ويحيون معه وينتفعون به .[٢]

٥- التكرار الهادف فلا يعد التكرار في القرآن تكراراً في الحقيقة ولكنها صور للمواقف والمشاهد المختلفة تختلف لتأتلف فتنتظم منها قصة بأكملها بعد أن وزعت جوانبها في مواطن متعددة

والتكرار الذي يحدث في بعض مشاهد القصة القرآنية يؤدي وظيفة حيوية في إبراز جوانب لا يمكن إبرازها على وجه واحد من وجوه النظم

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ١/ ٦٤،٦٥ ط –الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م.

(٢) ينظر : قصص القرآن الكريم من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل للدكتور محمد بكر إسماعيل صـ ١١ الطبعة الثانية ط. المنار سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

، بل لابد أن تعاد العبارة مرة ومرة لكي تحمل في كل مرة بعضاً من عناصر المشهد، وإن كانت كل عبارة منها تعطي صورة مقاربة للمشهد كله ، وبالجملة فإن تكرار القصص القرآني هو إعجاز من إعجاز القرآن الكريم ، تتجلى فيه روعة الكلمة وجلالها بحيث لا يرى لها وجه في أي لغة وفي صور البيان يقارب هذا الوجه في جلاله وروعته وسطوته .(١)

٦- القصص القرآني اشتمل على المعجزات وخوارق العادات التي تؤيد صدق الرسل ومدى قدرة الله تعالى وهذا لا يوجد في غير القصص القرآني الذي يمتاز بجمال أسلوبه وحسن بلاغته وسحر بيانه و سمو غايته وصدق أحداثه .(٢)

قلت : ويستفاد مما سبق أن القصص القرآني نزل بأسلوب بديع ؛ في مشاهد مختلفة لتحقيق هدف ديني وتأصيله في النفس الإنسانية كتثبيت العقيدة أو الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة أو التذكير بأحوال الأمم الغابرة وخوارق العادات للعظة والاعتبار.

---

(١) المرجع السابق صـ ١١،١٢ بتصرف .

(٢) ينظر : علوم القرآن للدكتور / عبدالله شحاته صـ ١٥٣ طبعة دار غريب للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٢م وينظر الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور / محمد محمود حجازي صـ ٣٦٠ وما بعدها طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه للأستاذ / عبدالكريم الخطيب صـ٧ ط دار المعرفة بيروت سنة ١٩٧٥م.

ثالثاً : أنواع القصة في القرآن

وردت القصة في القرآن على أشكال مختلفة وتعددت أراء العلماء حول تصنيفها على عدة أراء:

الرأي الأول : يرى أن للقصة القرآنية ثلاثة أنواع :

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.[1]

---

(١) ينظر : مباحث في علوم القرآن للدكتور/ مناع القطان صـ٣١٧ ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

الرأي الثاني : يرى أن القصص ينقسم من حيث التفرق وعدمه إلى قسمين :

القسم الأول: قصص مستوفاة في مكان واحد سواء تعلقت بجانب واحد أو أكثر من جانب فالأول كقصة ذي القرنين[١] ، وقصة أصحاب الفيل[٢] والثاني كقصة يوسف عليه السلام.[٣]

القسم الثاني: وزعت أحداثها في أكثر من سورة من سور القرآن وهذا القسم هو الغالب والكثير في قصص الأنبياء عليهم السلام .

وللعلماء تقسيمات أخرى للقصص القرآني باعتبارات أخرى تظهر للقارئ لكتاب الله تعالى بأدنى تأمل .[٤]

رابعاً : أهداف القصة في القرآن الكريم

لا شك أن أهداف القصة القرآنية لا تختلف كثيراً مع المقصد الأساسي للقرآن الكريم فهي أولاً وأخيراً جزء منه ، وقد جاء القرآن لهداية البشر إلى ما يصلحهم في عاجلهم وآجلهم، والقصص القرآني كأحد أساليب القرآن الكريم له أهدافه الخاصة التي تنتظم مع القرآن عموماً وسوف أذكر أهم هذه الأهداف بإيجاز وهي:

وينظر القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث تأليف د. صلاح الخالدي ١/ ٢٨ طبعة دار القلم الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(١) سورة الكهف من الآية رقم (٨٣) إلى الآية رقم (٩٧)

(٢) سورة الفيل.

(٣) سورة يوسف .

(٤) ينظر ، النهج القويم في دراسة علوم القرآن الكريم للدكتور/ عبد الغني عوض الراجحي صـ١٩ طبعة عيسى الباب الحلبي.

١ - معرفة أن قوة الله تعالى فوق كل قوة، وأن الله ينصر من ينصره، وأنهم إن أخذوا بوسيلتي البقاء من الاستعداد والاعتماد؛ سلموا من تسلط غيرهم عليهم. وذكر العواقب الصالحة لأهل الخير، وكيف ينصرهم الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١)

٧- بيان العظة والعبرة للمشركين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت أوامر ربها حتى يرعووا عن غلوائهم، ويتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، وكيف يورث الأرض أولياءه وعباده الصالحين قال تعالى ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

وقال ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ ﴾(٣) وقال﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (٤)

٨- إن في حكاية القصص سلوك أسلوب التوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودا للعرب فكان مجيئه في القرآن ابتكار أسلوب

---

(١) سورة الأنبياء الآية رقم (٨٧،٨٨)

(٢) سورة الأعراف الآية رقم (١٧٦)

(٣) سورة يوسف الآية رقم (١١١)

(٤) سورة الأنبياء الآية رقم (١٠٥)

جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه.

٩- ما فيها من فائدة التاريخ من معرفة ترتيب المسببات على أسبابها في الخير والشر والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قال تعالى ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [١] وما فيها من فائدة ظهور المُثل العليا في الفضيلة وزكاء النفوس أو ضد ذلك.

١٠- إن العرب بتوغل الأمية والجهل فيهم أصبحوا لا تهتدي عقولهم إلا بما يقع تحت الحس، أو ما ينتزع منه ففقدوا فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية وجهلوا معظمها وجهلوا أحوال البعض الذي علموا أسماءه فأعقبهم ذلك إعراضا عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها، قال مشيرا إلى غفلتهم قبل الإسلام ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾[٢]

١١- أن ينشأ في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب إذ رضوا من العزة

---

(١) سورة النمل الآية رقم (٥٢)

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم (٤٥)

باغتيـال بعـضهم بعـضاً ، فكـان منتهـى الـسيد مـنهم أن يغـنم صريمـة[١]، ومنتهـى أمـل العـامي أن يرعـى غنيمـة، وتقـاصرت هممهـم عـن تطلـب السيادة حتى آل بهم الحال إلى أن فقدوا عزتهم فأصبح كالأتباع للفـرس والـروم، فـالعراق كلـه والـيمن كلـه وبـلاد البحـرين تبـع لـسيادة الفـرس. والشام ومشارفه تبع لسيادة الروم. وبقي الحجاز ونجد لا غنيـة لهـم عـن الاعتزاز بملوك العجم والروم في رحلاتهم وتجارتهم.

١٢- تعويد المسلمين على معرفة سعة العـالم وعظمـة الأمـم والاعـتراف لها بمزاياها حتى تدفع عنهم وصمة الغرور كما وعظهم قوله تعـالى عـن قـــوم عـــاد ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [٢] فإذا علمت الأمة جوامع الخيرات وملائـمات حيـاة الناس تطلبت كل ما ينقصها مما يتوقف عليه كمال حياتها وعظمتها.[٣]

١٣- تثبيـت فـؤاد النبـي صـلّى الله عليـه وسـلم وتقويـة قلبـه كـما قـال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ ﴾[٤] فقد بعث الرسـول

---

(١) الصريمة مفردها صريم وهي قطعة تقطع من معظم الرمل، وصريم الأمر ما انصرم منه أي انقطع، ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري ١/ ٢٤٢ تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

(٢) سورة فصلت الآية رقم (١٥)

(٣) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١/ ٦٥،٦٦ بتصرف يسير

(٤) سورة الفرقان الآية (٣٢)

صلّى الله عليه وسلم في قوم جفاة شديدة عداوتهم، **كما قال تعالى** : ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمًا لُّدًّا ﴾[1] وكانوا لا يكادون ينتهون من حملة أو مكيدة حتى يشرعوا في تدبير أخرى مثلها أو أشد أو أمرّ، فكانت تنزلات القرآن بين الفينة والأخرى تواسيه وتسليه، وتشدّ أزره وعزيمته على تحمل الشدائد والمكاره، لما فيها أولا من تجديد الاتصال بالملإ الأعلى كلما ادلهمّ الأمر أو نزل الخطب، مما يثلج القلب ويشرح الصدر. ثم ما هنالك من التذكير بالأسوة بالأنبياء السابقين وأحوالهم مع أقوامهم كما قال تعالى ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[2] ويستطيع القارئ تبين هذه الحكمة بسهولة ويسر لدى مراجعته قصص القرآن، كأن يقوم باستعراض سريع لسورة هود مثلا، وما فيها من بيان مواقف الأمم من أنبيائهم وتحمّل الأنبياء والمؤمنين معهم وصبرهم حتى ينزل الله تعالى نقمته على أعدائهم، ويكرم المؤمنين بالفوز والنجاة، مما له أثره البالغ في تثبيت المؤمنين وزلزلة قلوب الكافرين لتكرار ذلك في كل موقف، حتى ضربت الأمة الإسلامية المثل البالغ حيث تعرضت لهزات وأعاصير أباد جزء منها أمما وأذاب شعوبا

---

(١) سورة مريم الآية (٩٧)

(٢) سورة هود الآية رقم (١٢٠)

وحضارات، فثبتت الأمة الإسلامية أمام ذلك كله بل سجلت أمة الإسلام في هذا المضمار ما هو معجز.[١]

١٤- ومن أهداف القصص القرآني أيضاً عرض الأسباب التي تؤدي إلى هلاك ودمار العصاة والمعاندين من الأفراد والأمم وقد تنوعت صنوف الهلاك بسبب نوع المعصية ، ومن ذلك ما ورد عن خسف قارون بسبب البغي والبطر والتكبر ، حيث قال تعالى ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [٢] إذ إنه لما أشر وبطر وعتى ، خسف الله وبداره الأرض جزاءً على عتوه وبطره.[٣]

هذا و مما تنبغي الإشارة إليه أن القرآن يقدم لنا من خلال قصص السابقين نماذج لعدة شخصيات كانت مضرب المثل في القدوة الحسنة والأخلاق الفاضلة؛ لنتعلم منها ونسير على دربها كمثل ما قصه الله تعالى عن سيدنا أيوب في صبره ولقمان في حكمته ويوسف في عفته وسليمان في علمه وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام و في المقابل ذكر الله نماذج لشخصيات

---

(١) ينظر :علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين محمد عتر الحلبي ١/ ٢٩ طبعة مكتبة الصباح – دمشق – الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

(٢) سورة القصص الآية رقم (٨١)

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ٢٥/ ١٧ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٠هـ

أخرى طغت وتجبرت وتكبرت وكان عاقبة أمرها خسراً وحذرنا من التمثل بهم ؛ حماية لنا من الوقوع في الآثام وحثاً للمسيء على الإنابة والتوبة.

وإلى هذا وغيره أشار أحد العلماء حيث قال "القصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله ومعالجة المشكلات ، فهي أسلوب أخاذ يستحوذ على القلوب ويسيطر على النفوس ويهيئ العقول لحسن التلقي فتذعن له في يقين ، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة ، حتى إنك وأنت تقرأ القصة أو تستمع إليها يخيل إليك أنها تعالج واقعاً تعيش فيه ويعيش معك فيه المجتمع الذي أنت جزء منه ، ذلك لأن مشكلات العالم مهما تباينت الأزمنة ، ومهما اختلفت البيئات ، ومهما تغيرت الظروف تكاد تكون واحدة ، غير أنها تتكرر في صور شتى ؛ لتعطي المشكلة حجمها الطبيعي في البيئة والظروف التي تتكرر فيها ومن هنا كان قصص القرآن الكريم للعبرة لا للتسلية " [1]

إلى غير ذلك من المقاصد والأهداف – تركتها اختصاراً واقتصاراً – والتي جاءت لهداية البشر وتزكية نفوسهم ، وغرس بذور الإيمان فيها وتحذرهم من الوقوع في أخطاء السابقين وتحثهم على تصحيح العقيدة وتقويم السلوك بما اشتملت عليه من حكم وآداب وإرشادات.

---

(١) ينظر : نظرات في أحسن القصص للدكتور / محمد السيد الوكيل ط. دار القلم – سوريا – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ

المبحث الثاني

قصة (صاحب الجنتين)

وردت قصة (صاحب الجنتين) في سورة الكهف في موضع واحد في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ

أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾[1]

وسوف أتناول قصة لله أصحاب الجنة لله من خلال الحديث عن مطلبين، هما :

- التعريف بصاحب الجنتين وصاحبه ومناسبة ذكر قصتهم .
- عرض لمشاهد القصة والحوار الذي دار بين الرجلين .

أولاً: التعريف بصاحب الجنتين وصاحبه ومناسبة ذكر قصتهم.

اختُلف في الرجلين هل هما مقدران أو محققان؟ فقال بالأول بعض المفسرين وقال بالآخر بعض آخر واختلفوا في تعيينهما[2] فقيل هما أخوان من بني إسرائيل وقيل هما أخوان مخزوميان من أهل مكة : أحدهما مؤمن والآخر كافر وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾[3] وقد توسع بعض المفسرين[4] في ذكر تحديد اسم الرجلين والمكان الذي عاشا فيه قال صاحب التحرير والتنوير "

---

(١) سورة الكهف من الآية رقم (٣٢) إلى الآية رقم (٤٤)

(٢) ينظر : فتح القدير للإمام الشوكاني ٣/ ٣٣٨ طبعة دار بن كثيرو دار الكلم الطيب – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٤١ه و فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب صديق خان القنوجي ٨/ ٤٨ ط. المكتبة العصرية للطباعة والنشر – صيدا – بيروت ١٤١٢ / ١٩٩٢ م

(٣) سورة الصافات الآية رقم (٥١)

(٤) ينظر : تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين الألوسي ٨/ ٢٦٠ ط. دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

والأظهر من سياق الكلام وصنع التراكيب مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾[1] فقد جاء (قال) غير مقترن بفاء وذلك من شأن حكاية المحاورات الواقعة، ومثل قوله ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾[2] أن يكون هذا المثل قصة معلومة ولأن ذلك أوقع في العبرة والموعظة مثل المواعظ بمصير الأمم الخالية.[3] وممن ذهب إلى هذا الرأي الإمام الألوسي حيث قال " والمراد بالرجلين إما رجلان مقدران على ما قيل وضرب المثل لا يقتضي وجودهما وإما رجلان موجودان وهو المعول عليه[4] واقتصر بعضهم على ذكر موطن العظة والعبرة بقوله :

" وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرت على معناه لقلة صحته " وقيل في قول ابن عباس أخوان من بني إسرائيل، أحدهما كافر، اسمه فرطوس ، والآخر مؤمن اسمه يهوذا أو قطفير، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطرا، فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا، وصرفها المؤمن في

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٧)

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٤٣)

(٣) ينظر : التحرير والتنوير للإمام الطاهرين عاشور ١٥/ ٣١٧.

(٤) ينظر : تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين الألوسي ٨/ ٢٦٠

وجوه الخير، وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى ولم تثبت صحة هذه الأقوال" .[١]

"وهذه الأسئلة عن اسم الرجلين اللذان كانا يتحاوران؟ ... وماذا جرى لهما بعد تدمير الجنتين؟ من المبهمات التي لا جواب عليها من المصادر الصحيحة، ولهذا لا ننفق طاقتنا المحدودة في بحثها، ولا نضيع وقتنا ووقت الآخرين بها. ويكفينا ما عرضه القرآن من القصة ففي ذلك تحقق العبرة والعظة ".[٢]

قلت : من عادة القرآن في قصصه أنه لا يذكر أسماء أشخاص، ولا يهتم بمكان القصة وأين جرت أحداثها، لا يذكر مِن هذا وذاك إلا ما تدعوا إليه الضرورة، وكان في ذكره فائدة؛ لأن المقصود هو الحدث نفسه وما فيه من العظة والعبرة والدروس وهذه الدروس لن تتغير بتغير الأسماء والأماكن فينبغي التوقف عند ما وقف عنده القرآن في وصف الرجلين .

- مناسبة ذكر قصة (صاحب الجنتين) لما قبلها

وجه النَّظم بين هذه القصة وما قبلها أن الكفار، لمَّا افتخرُوا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين، بيَّن الله تعالى أنَّ ذلك ممَّا لا يوجب الافتخار، لاحتمال أن يصير الغنيُّ فقيراً، والفقير غنيًّا، وأما الذي تجبُ

(١) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي ١٥/ ٢١ ط دار الفكر المعاصر الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ

(٢) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ ٣٦١ بتصرف يسير ط. دار القلم – دمشق – الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

المفاخرةُ به فطاعة الله وعبادته، وهي حاصلةٌ لفقراءِ المسلمين، وبيَّن ذلك بضرب هذا المثل.[1] وقال صاحب التحرير والتنوير في قوله تعالى ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾[2] الآيات..عطف على جملة ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[3] فإنه بعد أن بين لهم ما أعد لأهل الشرك وذكر ما يقابله مما أعده للذين آمنوا ضرب مثلا لحال الفريقين بمثل قصة أظهر الله فيها تأييده للمؤمن وإهانته للكافر، فكان لذلك المثل شبه بمثل قصة أصحاب الكهف من عصر أقرب لعلم المخاطبين من عصر أهل الكهف، فضرب مثلا للفريقين للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان حال أحدهما معجبا مؤنقا[4] وحال الآخر بخلاف ذلك فكانت عاقبة صاحب الحال المؤنقة تبابا وخسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحا، ليظهر للفريقين ما

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٢١/ ٤٦٠ ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ وينظر اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ١٢/ ٤٨٣ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط. دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٣٢)

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٢٩)

(٤) أَنَقَ: الأَنَقُ: الإِعْجابُ بِالشَّيْءِ. تَقُولُ: أَنِقْت بِهِ وأَنا آنَق بِهِ أَنَقاً وأَنا بِهِ أَنِق: مُعْجَب. وَإِنَّهُ لأَنِيقٌ مُؤَنَّقٌ: لِكُلِّ شَيْءٍ أَعجبَك حُسْنه. ينظر لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٩

يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرضا للصلاح والنجاح.[1]

ومما سبق: يتبين لنا وجه الصلة بين هذه القصة وما سبقها في سورة الكهف حيث إن حال هؤلاء الكفار من مشركي قريش الذين فتنتهم زينة الحياة الدنيا فخالفوا الحق واستكبروا وعتوا عن أمر ربهم شبيهًا بحال صاحب الجنتين، وحال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين شبيهًا بحال الرجل المؤمن، الذي اجتهد في نصيحة هذا الرجل الكافر، وكان هذا المؤمن معتزًّا بدينه، ويرى أن ما معه من الإيمان لا يعدله شيء من متاع الحياة الدنيا.

ثانياً : عرض لمشاهد القصة والحوار الذي دار بين الرجلين .

صورت لنا قصة " صاحب الجنتين " نموذجين من البشر فهذا الذي غره المال ولم يحمد الله عليه بل ازداد بطرا وأشرا ، في حين نجح صاحبه في الابتلاء حيث عرف حقيقة هذه الدنيا الفانية ، فكان له ناصحا أمينا وواعظا بليغا.[2] ويمكن تلخيص أحداث القصة في ثلاثة مشاهد على النحو التالي:

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٥/ ٣١٥

(٢) ينظر : تأملات في قصة أصحاب الكهف للأستاذ الدكتور / أحمد محمد الشرقاوي صـ ٥ بدون

المشهد الأول: نعم الله – تعالى – وغرور وكفر صاحب الجنتين

يصور المشهد الأول من القصة صورة اغترار صاحب الجنتين بما أنعم الله به عليه ومحاورته لصاحبه: فهما رجلان أوتي أحدهما من زهرة الحياة الدنيا ما تتطلع إليه النفس البشرية وتنتشئ لرؤيته، لقد أعطاه الله سبحانه وتعالى جنتين فيهما من أنواع الفاكهة والأعناب ما لذ وطاب وقد حفتا بسياج من النخيل وبين أشجار النخيل والأعناب ساحات واسعة مخصصة لزراعة الحبوب والخضراوات الأخرى، ولا شك أن هذا التنويع في الزرع والشجر يضفي جمالًا وبهاء على منظر الجنتين ويضفي قيمة وغلاء على ثمنهما، فمن المعهود عند أصحاب الفاكهة أن أنواعًا منها تثمر في سنوات وينقص ثمرها في سنوات أخرى كما أن أنواعًا من الزراعة تتأثر ببعض الآفات في سنوات بينما أنواع لا تتأثر بها. فالتنويع في الأنواع يجعل صاحب الزراعة في منأى عن ضياع المواسم بالكلية وفوات الثمر والحصاد.

إلا أن الجنتين في القصة أتت أكلها خير ما يكون الإيتاء والإنتاج ولم تنقص شيئًا من العطاء.

ومما أضفى الجمال على الجنتين، وأغلى من قيمتهما تفجر النهر خلال الأشجار والزرع .

قال ابن عطية[١] : " وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله فإن المرء لا يكاد يتخيل أجل منهما في مكاسب الناس جنتا عنب أحاط بهما نخل بينهما فسحة هي مزدرع لجميع الحبوب والماء المعين يسقي جميع ذلك من النهر " .[٢]

وبالإضافة إلى هذه الممتلكات والعقارات الثابتة، فقد كان لصاحب الجنتين من المال المنقول ومن النقدين ما كان يستثمره في التجارة والمجالات الأخرى، ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [٣] بحيث استكمل الرجل الأسباب الظاهرة للتمكن من الثروة والقبض عليها بأيد قوية، فلئن فاتته فرصة في التجارة فإن الزرع والأعناب ستعوضه، ولئن أصابته آفة زراعية فإن المال المستثمر سيغطي النقص لديه.

---

(١) عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب الأندلسي الغرناطي المالكي، ولد بغرناطة سنة ٤٨١ هـ، نشأ نشأة علمية ، وكان غزير العلم، واسع الاطلاع في مختلف العلوم ، و له مصنفات كثيرة أشهرها تفسير " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

اختلف في سنة وفاته فقيل توفي سنة ٥٤١ وقيل سنة ٥٤٢. ينظر طبقات المفسرين للحافظ محمد بن علي الداودي ١/ ٢٦٦ تحقيق على محمد عمر ط. الاستقلال الكبرى – القاهرة – سنة ١٣٩٤ هـ .

(٢) تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣/ ٥١٦

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٣٤)

كل ذلك ساقه الله سبحانه وتعالى له سوقًا من غير جهد وخبرة من الرجل بدليل إسناد الضمائر إلى لفظ الجلالة (جعلنا، حففناهما، جعلنا بينهما زرعًا، وفجرنا) .

وحصول هذه النعم الدنيوية العظيمة له، وتسخير هذا الثراء وهذه الأموال لمصالحه، وتنعمه بها، يستدعي شكر مسدي هذا النعم، وتسخيرها في طاعته واتفاقها في سد خلة المحتاجين لتكون وسيلة إلى القربى من المولى عز وجل. هذا هو المفروض وهو المتوقع من العبد تجاه ما ساقه إليه سيده ومولاه.

إلا أن النفس البشرية إذا تركت على هواها، وحجب عنها نور الإيمان، ونظرت إلى ما بين يديها من الأسباب المادية، أخذها الغرور والبطر، وظنت أنها لم تؤت هذا المال وهذه المكانة والوجاهة إلا لمزايا ذاتية فيها، وهذا الصنف من البشر يتكرر في كل زمان ومكان وفي كل حال لم تهذب بإشراقة الإيمان، ولقد ظن هذا الظن قارون عندما قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾[1] لقد أخذه البطر والأشر والتكبر على عباد الله فالتقى صاحبه الفقير وهو في زينته ليحاوره ويقول له: ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[2] لم يقف به الغرور والبطر عند التكبر على عباد الله وكسر قلوب الفقراء بل تجاوز ذلك إلى حين يفقد توازنه في الحكم على

(١)سورة القصص الآية رقم (٨٧)

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٣٤)

الأشياء وأن يضفي صفات كاذبة على ما بين يديه من المال والثراء فزعم لها البقاء والخلود ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [١] .

ولكنه تذكر أن السنة الجارية على الأحياء أن لا يخلد استمتاعهم بمالهم وأولادهم فإما أن تفارقهم أو يفارقوها بالموت، يا هل ترى ما المصير عندئذ ؟!

إن تذكر الموت وتصور الحياة الأخرى والحساب والجزاء، مما يقض مضجع المترفين البطرين الأشرين، لذا يحاولون إلقاء حجب كثيفة بينهم وبين الاعتقاد باليوم الآخر. فقال قولته الملحدة ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾[٢] ، ولكن المؤمنين يؤكدون على وجود هذا اليوم، وقد أرسل الرسل بهذه العقيدة، ولم يخل دين سماوي عن هذه العقيدة، فتنازلًا عند كل هذه الأقوال، وافتراضًا لغير الواقع يفترض وجود هذا اليوم افتراضًا فلو وجد هذا اليوم وبعث يوم القيامة، فلأنه ذو مواهب خاصة، وطاقات نادرة، ومزايا ذاتية فسيجد عند ربه خيرًا مما آتاه في الدنيا، يقول ذلك عجرفة وتهكمًا بصاحبه وبما يعتقده . إنها النفس الأمارة بالسوء، المغرورة بالقيم الزائفة المتبعة لهواها، قد أبطرتها النعمة وأذهلتها الثورة وأسرتها الوجاهة.[٣] ثم أقسم على فرض لقاء ربه بقوله:

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٥)

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٣٦)

(٣) ينظر مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم ١/ ٢٢٨ ط. دار القلم الطبعة الرابعة ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م و تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي

﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[1] أي إن رجعت إلى ربي، على سبيل الفرض والتقدير، وكما يزعم صاحبي، لألفين في الآخرة عند ربي خيرا وأحسن من هذا الحظ في الدنيا، تمنيا على الله، وادعاء لكرامتي عنده ومكانتي لديه، وأنه لولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، ولولا استحقاقي واستئهالي ما أغناني في الدنيا[2]، كما جاء في آية أخرى على لسان الكافر ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾[3]

المشهد الثاني: نصح وتحذير لمن تفاضل بزينة الدنيا ، وتذكيره بتقلبات الدهر.

يصور المشهد الثاني ما قاله ذلك العبد المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادله واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر والجحود لربه ويلك أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ونبهه على أصل نشأته وإيجاده بعد العدم وأن ذلك دليل على جواز البعث من القبور، ثم تحتم ذلك بإخبار الصادقين وهم

١٠/ ٤٥٠ تحقيق الأستاذ أحمد البردوني إبراهيم أطفيش ط. دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤/ ١٩٦٤ ونظم الدرر في تناسب الآي السور للإمام برهان الدين البقاعي ١٢/ ٥٨ ط. دار الكتاب الإسلامي القاهرة

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٦)

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للإمام الزمخشري ٢/ ٧٢٣ ط. دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ وينظر التفسير المنير للدكتور / وهبه الزحيلي ١٥/ ٢٤٧

(٣) سورة فصلت الآية رقم (٥٠)

الرسل عليهم السلام. وقوله {ىِذَّلَّابِكَقَلَخ نِمٍ بَارُت}[١] إما أن يراد خلق أصلك من تراب وهو آدم عليه السلام وخلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له، أو أريد أن ماء الرجل يتولد من أغذية راجعة إلى التراب، فنبهه أولا على ما تولد منه ماء أبيه ثم ثانيه على النطفة التي هي ماء أبيه. ثم نبهه على تسويته رجلا وهو خلقه معتدلا صحيح الأعضاء، ويقال للغلام إذا تم شبابه قد استوى. وقيل: ذكره بنعمة الله عليه في كونه رجلا ولم يخلقه أنثى، نبهه بهذه التنقلات على كمال قدرته وأنه لا يعجزه شيء. وإخبار عنه به لأن معناه قد كفرت بالذي استدرك هو مخبرا عن نفسه، فقال لكنا هو الله ربي إقرار بتوحيد الله وأنه لا يشرك به غيره وفي قوله ولا أشرك بربي أحدا تعريض بإشراك صاحبه وأنه مخالفه في ذلك، وقد صرح بذلك صاحبه في قوله ﴿ وَيَقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾[٢] وقيل: أراد بذلك أنه لا يرى الغنى والفقر إلا منه تعالى، يفقر من يشاء ويغني من يشاء. وقيل: لا أعجز قدرته على الإعادة، فأسوي بينه وبين غيره فيكون إشراكا كما فعلت أنت.

ولما وبخ المؤمن الكافر أورد له ما ينصحه فحضه على أن كان يقول إذا دخل جنته ما شاء الله لا قوة إلا بالله أي الأشياء مقذوفة بمشيئة الله إن شاء أفقر، وإن شاء أغنى، وإن شاء نصر، وإن شاء خذل. ثم أردف تلك النصيحة

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٧)

(٢) سورة الكهف الآية (٤٣)

بترجيـة مـن الله، وتوقعـه أن يقلـب مـا بـه ومـا بـصاحبه مـن الفقـر والغنـى. فقال﴿ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾[1] أي إني أتوقـع مـن صـنع الله تعالى وإحسانه أن يمنحني جنـة خيرا مـن جنتـك لإيـماني بـه، ويزيـل عنـك نعمته لكفرك به ويخرب بستانك.[2] وبعد أن حضه عـلى الـشكر لله- تعـالى- رد على افتخاره وغروره بقوله- كما حكى القرآن عنـه-: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾[3]

أي: إن ترن أيها المغرور أنا أقل منك في المال والولد فـإنى أرجـو الله الـذي لا يعجزه شيء، أن يرزقني ما هو خير من جنتـك في الـدنيا والآخـرة. وَيُرْسِـلَ عَلَيْها حُسْباناً مِـنَ الـسَّماءِ أي: عـذابا مـن جهـة الـسماء كالـصواعق والـسموم وغيرها مما يشاء الله- تعالى- إرساله عليها من المهلكات التي تـذرها قاعـا صفصفا. «فتصبح» بعد اخضرارها ونضارتها «صعيدا» أي: أرضا «زلقا» أي: جرداء ملساء لا نبات فيها، ولا يثبت عليها قـدم. والمـراد أنهـا تـصير عديمـة النفع من كل شيء حتـى مـن المـشي عليهـا أَوْ يُـصْبِحَ ماؤُهـا غَـوْراً أي: غـائرا

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٩)

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٧/ ١٧٦ بتصرف يسير تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ط. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٣٩،٤٠)

ذاهبا في الأرض فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً أى: فلن تستطيع أن تحصل عليه أو تطلبه بأية حيلة من الحيل، لأنه لا يقدر على الإتيان بهذا الماء الغائر إلا الله عز وجل.

وإلى هنا نجد أن الرجل المؤمن قد رد على صاحبه الكافر، بما يذكره بمنشئه، وبما يوجهه إلى الأدب الذي يجب أن يتحلى به مع خالقه ورازقه، وبما يحذره من سوء عاقبة بطره. وهكذا الإيمان الحق، يجعل المؤمن يعتز بعقيدته، ويتجه إلى الله وحده الذي تعنو له الجباه، ويرجو منه وحده ما هو خير من بساتين الدنيا وزينتها.

والمتدبر لحال صاحب الجنتين يراه، أولا قد زعم أن مدار التفاضل هو الثروة والعشيرة، ويراه ثانيا قد بنى حياته على الغرور والبطر، واعتقاد الخلود لزينة الحياة الدنيا، ويراه ثالثا قد أنكر البعث والحساب، والثواب والعقاب. ويراه رابعا قد توهم أن غناه في الدنيا سيكون معه مثله في الآخرة،[1]

المشهد الثالث : عاقبة الجحود والغرور

يأتي المشهد الأخير؛ ليجسد لنا مضمون القصة، ويبين موضع العبرة فيها ، والهدف من ورودها ، والغاية المراد الوصول إليها وهي تهذيب النفوس وتزكيتها وذم الاغترار بالدنيا وأن الله تعالى له السلطة المطلقة كما صور المشهد العاقبة السيئة التي حلت بذلك الرجل المتكبر المغرور وما أصابه

---

(١) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ٨/ ٥١٧ وما بعدها ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى سنة١٩٩٨م

من الندم الشديد والحسرة الكبيرة فقال تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾[١] أي: وكانت نتيجة جحود صاحب الجنتين لنعم ربه، أن أهلكت أمواله وأبيدت كلها. فصار يقلب كفيه ظهرا لبطن أسفا وندما، على ما أنفق في عمارتها وتزيينها من أموال كثيرة ضاعت هباء، ومن جهد كبير ذهب سدى. فحدث ما توقعه الرجل الصالح من إرسال الحسبان على بستان صاحبه الجاحد المغرور فهلكت أمواله وثماره كلها. وأحاط العذاب بجنته. وقوله ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾[٢]وهو تصوير بديع لما اعتراه من غم وهم وحسرة وندامة. وتقليب اليدين عبارة عن ضرب إحداهما على الأخرى، أو أن يبدي ظهرهما ثم بطنهما ويفعل ذلك مرارا، وأيّا ما كان ففعله هذا كناية عن الحسرة الشديدة، والندم العظيم. على الجنة التي أنفق فيها ما أنفق وهي خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها

أي: ساقطة ومتهدمة على دعائمها وعلى سقوفها و صارت حطاما وهشيما تذروه الرياح. ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾[٣] أي: صار يقلب كفيه حسرة وندامة لهلاك جنته، ويقول زيادة في الحسرة والندامة: يا ليتني اتبعت نصيحة صاحبي فلم أشرك مع ربي سبحانه أحدا في العبادة أو

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٤٠)

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٤٢)

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٤٢)

الطاعة. وهكذا حال أكثر الناس، يذكرون الله- تعالى- عند الشدائد والمحن، وينسونه عند السراء والعافية.

والمتدبر لهذه الآية الكريمة يراها قد صورت فجيعة الرجل الجاحد في جنته تصويرا واقعيا بديعا.

فقد جرت عادة الإنسان أنه إذا نزل به ما يدهشه ويؤلمه. أن يعجز عن النطق في أول وهلة. فإذا ما أفاق من دهشته بدأ في النطق والكلام.

وهذا ما حدث من ذلك الرجل- كما صوره القرآن الكريم- فإنه عند ما رأى جنته وقد تحطمت أخذ يقلب كفيه حسرة وندامة دون أن ينطق، ثم بعد أن أفاق من صدمته جعل يقول:

يا ليتني لم أشرك بربي أحدا. فيا له من تصوير بديع. يدل على أن هذا القرآن من عند الله- تعالى ثم ختم- سبحانه- هذه القصة ببيان عظيم قدرته ونفاذ إرادته فقال ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾[1] أى: ولم تكن لهذا الجاحد المغرور بعد أن خوت جنته على عروشها، عشيرة أو أعوان ينصرونه، أو يدفعون عنه ما حل به، وإنما القادر على ذلك هو الله- تعالى- وحده، وما كان هذا الرجل الذي جحد نعم ربه منتصرا لأنه- سبحانه- قد حجب عنه كل وسيلة تؤدى إلى نصره وعونه، بسبب إيثاره الغي على الرشد، والكفر على الإيمان.

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٤٣، ٤٤)

فالآية الكريمة تبين بجلاء ووضـوح، عجـز كـل قـوة عـن نـصرة ذلـك الرجـل المخذول سوى قوة الله عز وجل ، وعجز ذلك الرجل في نفسه عن رد انتقـام الله تعـالى منـه و في ذلـك المقـام وتلـك الحـال تكـون الولايـة أي المـوالاة والصلة من كل الناس، لله تعالى وحده إذ الكافر عند ما يرى العـذاب يعـترف بوحدانية الله تعالى.[١]

ومما سبق : يتبين لنا أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الدنيا أو يطمئن إليها – بل يجعل طاعة الله نصب عينيه – لأنها زائلة، وما فيها من متـاع ومـال وبنـين سرعان ما يزول كما زالت جنتا الرجل الكـافر الـذي وجـد نفسه مجـردًا مـن نعم الله عليه فأصبح خاسراً مخـذولاً ، ومـا عنـد الله خـير وأبقـى كـما حـصل للرجل المؤمن حيث وجد أن الله خير ثواباً وخير عقباً.

وتنتهي أحداث القصة ، ويفنى زمانها ، ويبقى موضع العبرة فيها ، وهي قـدرة الله – تعالى– وانتقامه من المغرورين المتكبرين العاصين لأوامره في الـدنيا والآخـرة ، وفـضله وبـره وإحـسانه بـالمؤمنين الطـائعين. لقـد مـات أصـحاب القصة ، وبقي النموذج الذي جسدوه للـنفس الإنـسانية ، وهـو طغيـان الـنفس البشرية وسبل تزكيتها ، وهذا النموذج مازال موجوداً ، ومتجدداً في كل زمان ومكـان ؛ لـذا أمرنـا الله – تعـالى – بتهـذيب الـنفس وتزكيتهـا ، وحـذرنا مـن الكـبر والغـرور لمـا لهـما مـن مـضار وخيمـة عـلى المـستوى الشخـصي ،

(١) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ٨/ ٥٢١ وما بعدها بتصرف.

والاجتماعي فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]

وفي هذا يقول الدكتور / محمد سيد طنطاوي – رحمه الله- " وبذلك نرى أن هذه القصة التي ضربها الله- تعالى- مثلا للأخيار والأشرار قد بينت لنا بأسلوب بليغ أخاذ، صور عاقبة الجاحدين المغرورين وحسن عاقبة الشاكرين المتواضعين، كما بينت لنا الآثار الطيبة التي تترتب على الإيمان والعمل الصالح، والآثار السيئة التي يفضى إليها الكفر وسوء العمل، كما بينت لنا أنّ المتفرد بالولاية والقدرة هو الله- عز وجل- فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، ولا مستحق للعبادة أحد سواه، ولا ثواب أفضل من ثوابه ولا عاقبة لأوليائه خير من العاقبة التي يقدرها لهم ."[2]

---

(١) سورة القصص الآية رقم (٨٣)

(٢) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ٨/ ٥٢١

المبحث الثالث

أهم الدروس المستوحاة من قصة صاحب الجنتين

هناك كثير من الدروس والعبر التي يمكن أن نستلهمها من قصة صاحب الجنتين وسوف أتحدث باختصار عن خمسة دروس من أهم الدروس المستوحاة من القصة:

الدرس الأول: ذم الغرور[١] والتكبر[٢]:

صور لنا القرآن الكريم صاحب الجنتين الكافر بصورة عجيبة وأطلعنا على تصرفاته الغريبة، وسجل لنا أقواله المتنفشة ، وكشف لنا عن تصوره الباطل المريض . والذي يجمع تلك التصرفات والأقوال يجد أنها صدرت عن إنسان مغرور ومخدوع ، أعماه المال والمتاع والمظاهر المادية ، وأوقعه ثراؤه العريض في بطر وتكبر وخيلاء ، وغبّشت كل هذه الآفات على تصوره ، فلم يدر ماذا يقول ، ولا كيف يتصرف ، ولا كيف يزن نفسه ويعرف قيمتها. [٣]

---

(١) الغرور: " سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع." ينظر التعريفات للجرجاني ١/ ١٦١ ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

(٢) التكبر: " أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التزين بأكثر مما عنده " ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي صـ ٢٨ تحقيق عدنان درويش – محمد المصري ط. مؤسسة الرسالة – بيروت –

(٣) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن ، صلاح عبدالفتاح الخالدي صـ ٣٦٦ .

لقد أخذه الغرور والتكبر على عباد الله ، ونسي القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة ، وظن أن النعم خالدة لا تفنى ، ولن تخذله القوة ولا الجاه؛ فالتقى صاحبه الفقير وهو في زينته وخيلاءه، ويقول له : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[1] قال الألوسي لله أي حشماً وأعواناً ، وقيل : أولاداً ذكوراً ، وتخصيص الذكور لأنهم الذين ينفرون معه لمصالحه ومعاونته ، وقيل عشيرته ، ومن شأنهم أن ينفرون مع من هو منهم "[2]

وتلك النعمة كان جديراً به أن يتدبر صانعها ومجريها ومانحها ومعطيها؛ فيؤمن ويشكر ويذعن ويحمد، ولكن فريقاً من الناس تطغيهم النعمة، ويغشى على بصائرهم النعيم، فما ازداد على نعمة الله إلا كفراناً، وما أثمرت عنده إلا طغياناً، وكان كلما مر على أخيه يزدريه بنفسه قائلاً له : أين مالك ؟ أين فضتك؟ أين ذهبك؟ لشتان ما بيني وبينك أنت رقيق الحال، فاقد الأعوان، أما أنا فكما تراني في عيش رغيد، ولي مال وبنون، وخدم وأعوان، أدخل جنتي لترى ما فيها من النعيم، وما أنا فيه من السعادة والهناء. [3]

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٤)

(٢) ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ٨ / ٢٦١ وينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي ٥/ ٢٢١ ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت –

(٣) ينظر : قصص القرآن محمد أحمد جاد المولى وآخرون صـ ١٨٦ وآخرون ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط. دار إحياء التراث.

ولم يقف به الغرور والبطر عند التكبر على عباد الله وكسر قلوب الفقراء والبسطاء بل تجاوز ذلك إلى حد يفقد توازنه في الحكم على أشياء وشك في قيام الساعة[1]، ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾[2] فحذر الرجل المؤمن صاحبه الكافر من زوال نعمة الله عليه بسبب كفره وبطره، وبين له أن الله قد يدمر جنته التي كان يتباهى بها وقال له : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾[3] وبعد ذلك فوجئ الرجل الكافر بهلاك ماله، وضياع أعماله، في لحظة عابرة، فشعر بخسارته وضلاله، وضياع مستقبله ومصيره . فندم ندامة بالغة عبر عنها القرآن بقوله :

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾[4] هذا الإنسان الذي كان يختال تيهاً وانتفاشاً وبطراً واستعلاءً، هذا الإنسان الذي افتخر على صاحبه المؤمن بماله وجنته، وقال له أنا أكثر منك مالاً، وأعز نفراً. هذا الإنسان الذي نظر إلى جنته فقال عنها : ما أظن أن تبيد هذه أبداً. هذا الإنسان الآن يرى جنته قد بادت وانتهت فندم ندامة عملية تمثلت في تقليبه لكفيه .

---

(١) ينظر : مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم صـ ٢٣٠

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٣٥)

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٤٠،٤١)

(٤) سورة الكهف الآية رقم (٤٢)

وندامة قولية ، تمثلت في قوله : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ، ولم تنصره وتعينه عشيرته وأعوانه على هذا البلاء.[١]

إنها ساعة الحسرة والندم بعد فوات الأوان. لقد ذهب كل شيء في طرفة عين، أين المال الذي كان يملأ نفسه كبرًا وعجبًا وأين الجنان التي كانت تملأ نفسه نشوة وبطرًا، بل أين الرجال والنفر الذين كان يهيئهم للملمات والشدائد، لم يقدم أحدهم له عونًا ونصرًا، لم يستطع أحدهم أن يدفع عنه الكارثة الماحقة، وأنى لمخلوق أن يقف أمام قدر الله سبحانه وتعالى الذي يقول للشيء كن فيكون. أما كان يسع هذا الإنسان الضعيف أن يلزم حدوده، فيستمتع بما وهبه الله عز وجل ويحمد الواهب على ما وهب ويشكره على ما سخر له فيكون في منأى من غضب الجبار وانتقامه، ألا يعلم الإنسان أن لله جنود السماوات والأرض، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن إليه المصير والمآب، وأن بيده الحكم والأمر فإن أقر بذلك فينبغي أن تكون التصرفات والأعمال على ضوء ما يقر ويعترف.[٢]

مما سبق يتبين لنا أن الله قص علينا هذه القصة لأخذ العظة والعبرة ؛ وليبين لنا أنه يجب على الإنسان ألا تخدعه النعمة ولا يغيره النعيم لأنه موهوب من الله ، فالمال أحد أسباب قوام الحياة الدنيوية التي لابد أن يسخرها الإنسان في طاعة الله لتكون وسيلة إلى القرب من الله تعالى.

---

(١) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ٣٧٢ بتصرف يسير.

(٢) ينظر : مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم ١/ ٢٣٠

" إن القيم الحقيقية ليست هي المال، ولا الجاه، ولا السُّلطة، ولا لذائذ الحياة ومتعها – فإنها كلّها قيم زائفة – وإن الإسلام لا يحرِّم الطيب منها، ولكنه لا يجعل منها غاية الحياة، فمن شاء أن يتمتع بها فليتمتع، ولكن لِيذكُرِ الله الذي أنعم بها، وليشكرْه على نعمة بالعمل الصالح " .[١]

الدرس الثاني: تصحيح العقيدة[٢]

قصة صاحب الجنتين وصاحبه لا تخرج عن الهدف من قصص سورة الكهف ، والذي يهدف إلى تصحيح العقيدة ، وتصحيح منهج النظر والفكر ، وتصحيح القيم بميزان العقيدة . إن القصة تُصحح العقيدة ، عندما طالب الرجل المؤمن صاحبه بالإيمان بالله وشكره ، وحذره من عاقبة كفره وبغيه . كما أنها تصحح القيم بميزان العقيدة ، حيث تبين عاقبة من اغتر بما يملك من متاع الدنيا ، فركن إليه واعتز به ، فتبدد من أمامه . كما تبين عاقبة من اغتر بربه ولجأ إليه ، وآثر ما عنده ، فوجده خيراً ثواباً وخيراً أملاً.[٣]

وقد تجلى تأثير العقيدة في القصة حيث يقول الله تعالى على لسان الرجل المؤمن ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾[٤] فقد أكد إثبات

---

(١) تيسير التفسير إبراهيم القطان ٢/ ٣٧٠

(٢) هي " اعتقاد أنه تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فلا يشاركه فيها أحد ولا يشبهه فيها أحد " ينظر أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف ١/ ١١٤ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ ٣٦١

(٤) سورة الكهف الآية رقم (٣٨)

اعترافه بالخالق الواحد بمؤكدات أربعة، وهي: الجملتان الاسميتان، وضمير الشأن في قوله: لكنا هو الله ربي، وتعريف المسند والمسند إليه في قوله: الله ربي المفيد قصر صفة ربوبية الله على نفس المتكلم قصراً إضافياً بالنسبة لمخاطبه، أي دونك إذ تعبد آلهة غير الله ، وما القصر إلا توكيد مضاعف، ثم بالتوكيد اللفظي للجملة بقوله: ولا أشرك بربي أحداً.(١)

وقد بينت الآيات أن الولاية لا تكون إلا لله، وأن من تولاه الله فهو الفائز، و من تخلى عنه فهو الخاسر المخذول وإن عاقبة الولاية لله الفلاح والنجاح والخير وإن لصاحبها من الله الثواب الجزيل .(٢) ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾(٣): أي في تلك الحال التي أجرى الله فيها العقوبة على من طغى، وآثر الحياة الدنيا، والكرامة لمن آمن، وعمل صالحا، وشكر الله، ودعا غيره لذلك، تبين وتوضح أن الولاية لله الحق، فمن كان مؤمنا به تقيا، كان له وليا، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور والمثلات، ومن لم يؤمن بربه ويتولاه، خسر دينه ودنياه، فثوابه الدنيوي والأخروي، خير ثواب يرجى ويؤمل، ففي هذه القصة العظيمة، اعتبار بحال الذي أنعم الله عليه نعما دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها، أن

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٥/ ٣٢١.

(٢) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ٣٧٣

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٤٤)

مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلا فإنه يحرمها طويلا وأن العبد ينبغي له -إذا أعجبه شيء من ماله أو ولده- أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها.[1]

فنرى: أن الرجل المؤمن قال لصاحبه: إن كنت يا هذا قد كفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، فإني لست بكافر، ولكني مؤمن اعترف لله بالعبادة والطاعة، وأقر أنه هو الله تعالى وحده ربي ولا أشرك معه أحداً من خلقه لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا في الذات ولا في الصفات. كما بينت الآيات أن النصرة لله وحده لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه فهو سبحانه ينصر أوليائه المؤمنين على الكافرين وينتقم منهم ويشفي صدورهم.

---

(١) ينظر :تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١/ ٤٧٧ تحقيق ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

الدرس الثالث: الإكثار من قول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فإنها تدفع العين.[١]

أرشد الرجل المؤمن صاحبه الكافر وهو يحاوره إلى التصرف اللائق الصحيح، الذي يشكر فيه ربه ، ويعمل على دوام نعمة الله عليه . وطالبه بأن يلجأ إلى الله ، وأن يعلق الأمر على مشيئته ويجعله مرهوناً بقدرته ، وأن يستمد قوته من قوة الله سبحانه . قال له : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٢] وهناك حكمة عظيمة من نطق المؤمن بهذه العبارة الإيمانية ، عندما يعجبه شيء من ماله أو أهله أو ولده . إنه يعترف أنه ما نال ما نال بإرادة الله ومشيئته، وليس بجهده هو ولا كسبه وسعيه. ولهذا يقول: (ما شاء الله). ثم هو يعتقد بأن القوة لا تكون إلا عندما تُستمد من قوة الله، فالله وحده هو القوي القادر القاهر ، وهو الذي يهب الناس القوة ،وإذا سلب الله إنساناً القوة ، فلن تنفعه قُوى الأرض كلها ، ولن تقدر على منحه القوة ، ولهذا ينطق لسانه قائلاً : (لا قوة إلا بالله). إن هذه العبارة القرآنية الإيمانية، دليل على قوة إيمان قائلها، وعلى لجوئه إلى الله، وشعوره بفقره إليه وضعفه بين يديه. فعلينا أن نجعل هذه العبارة الإيمانية شعاراً دائما لنا ،

---

(١) المراد من العين النظر باستحسان شديد، إلى النعمة، مع الانبهار والشهوة، والتوجه إليها بمشاعر الإعجاب، وقد يحصل من الأعمى، بتوجه نفسه هذا التوجه، وإنما نسب إلى العين لأن أغلب هذا يكون بها. ينظر فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين ٨/ ٥٣٦ ط. دار الشروق الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٣٩)

تعيها قلوبنا ، وتنطق بها ألسنتنا ، ونعيشها في كياننا وواقعنا وحياتنا ، حتى تدوم علينا نعم الله ، وحتى نشكر الله عليها.(١)

قلت : يستحب للمسلم إذا رأى نعمة عنده أو عند غيره أن يقول : (ما شاءَ اللهُ ، لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ). وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ) تبين أنها كنز من كنوز الجنة "(٢)، وقوله :" لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا قالها العبد، قال الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم ". وقد وردت هذه الكلمة في القصة في وصية المؤمن للكافر وردّه عليه، حينما ظن عدم فناء جنته، وتفاخر بثروته على صاحبه.(٣)

---

(١) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ٣٦٨ وما بعدها بتصرف يسير .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ { يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ " أَوْ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبه ٨/ ٨٢رقم (٦٣٨٤) ط. دار طوق النجاة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ تحقيق. محمد زهير بن ناصر الناصر وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤ / ٢٠٨٦ رقم (٢٧٠٤) تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون .

(٣) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د. وهبه الزحيلي ١٥/ ٢٥٦.

الدرس الرابع: وجوب النصيحة

يعد التناصح من أهم المظاهر التي تعود بالخير على الفرد والمجتمع، فهو ترجمة حية للحرص الأخوي بين الأفراد، ويعود عليهم بالخير من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾[1] " إنه وقف أمام صاحبه المغرور، محاوراً مجادلاً ، وتكلم معه بجرأة وعزة ويقين، وثبات واستعلاء، وخاطبه ناصحاً موضحاً مبيناً ، ودله على الطريق الصحيح ، وأرشده إلى سبيل الفضل والتفضيل ، ودعاه إلى التواضع وحسن التصرف ، وإلى التعرف على ربه الذي منحه وحفظه ورزقه ، وعرفه بأصله وبديته قبل أن يصير إلى ما صار إليه . ونستفيد من هذا الرجل المؤمن منطقه وأسلوبه في الحوار والجدال ، حيث يُعلمُنا أن نحاور الآخرين ، وأن نبطل شبهاتهم ، وأن نزيل الغشاوة عن عيونهم ، وأن نصحح لهم تصورهم ونظرتهم ، وأن لا يمنعنا ما هم عليه من الجاه والمنزلة والسلطان والنعيم ، من محاورتهم . كما يُعلمُنا أن لا نخدع أنفسنا، فنقيس أنفسنا بهم ، ونتمنى ما هم عليه ، فنحن أقوى وأثبت ، وأعز وأفضل ، وأغنى وأقرب منهم ، طالما أننا نملك الإيمان بالله سبحانه .[2]

---

(١) سورة الكهف الآية رقم (٣٧)

(٢) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ٣٦٨

فنرى في هذه القصة أن الرجل المؤمن نصح وبين للرجل الكافر الطريق الصحيح وأرشده إلى سبيل الفضل، وعلمه كيف ينظر إلى ما منحه الله من المتاع ، وبين له أن ميزان التفاضل بين الناس ليس بالمال ولا بالبنين ، ولا بالجاه والسلطان ولكن بالانتساب إلى صاحب العزة وخالق القوى والقُدر وهو الله – تعالى – .

الدرس الخامس: بيان معنى تزكية النفس ، وأهميتها، وأبرز ملامحها في القصة .

أولاً : معنى التذكية في اللغة والاصطلاح :

قال الراغب في معناها: " أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله – تعالى – ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية . يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة "[1] وقال ابن فارس : " الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ. وَيُقَالُ الطَّهَارَةُ زَكَاةُ الْمَالِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مِمَّا يُرْجَى بِهِ زَكَاءُ الْمَالِ، وَهُوَ زِيَادَتُهُ وَنَمَاؤُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا طَهَارَةٌ. قَالُوا: وَحُجَّةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2] وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ رَاجِعٌ إِلَى هَذَيْنِ

---

(١) ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١/ ٣٨٠ تحقيق / صفوان عثمان الداودي ط. دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

(٢) سورة التوبة الآية رقم (١٠٣)

المَعْنَيَيْنِ، وَهُمَا النَّمَاءُ والطَّهَارَةُ. وَمِنَ النَّمَاءِ: زَرْعٌ زَاكٍ، بَيِّنُ الزَّكَاءِ. وَيُقَالُ هُوَ أَمْرٌ لَا يَزْكُو بِفُلَانٍ، أَيْ لَا يَلِيقُ بِهِ. وَالزَّكَا: الزَّوْجُ، وَهُوَ الشَّفْعُ "[١].

وقال الزبيدي : ويقال: تزكيةُ النفسِ ضربان: فِعْلِيَّة، وهي محمودة ممدوحة شرعاً، كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[٢] بأَن يحملها على الاتصاف بكامل الأوصاف.

وقوْلِيَّة، وهي مذمومة، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[٣] أي بثنائِكم عليها وافتخارِكم بأَفعالكم.[٤]

قلت : مما سبق يتضح لنا أن التزكية في اللغة تدور حول معنى النماء والزيادة والطهارة والبركة.

التزكية في اصطلاح العلماء : عرفها الأستاذ سعيد حوى[٥] بقوله " زكاة النفس تطهيرها من أمراض وآفات ، وتحققها بمقامات ، وتخلقها بأسماء

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، ٣/ ١٨١٧ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

(٢) سورة الشمس الآية رقم (٩)

(٣) سورة النجم الآية رقم (٣٢)

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ١/ ٩١ .

(٥) هو سعيد بن محمد بن ديب بن محمود حوى النعيمي – مفكر سوري – ولد في حماة سنة ١٩٣٥م ، له مؤلفات كثيرة في علوم الشريعة منها كتاب الأساس في التفسر ١١ مجلد ، والأساس في السنة وفقهها ١٤ مجلد ، والمستخلص في تذكية الأنفس وغيرها توفي بالأردن سنة ١٩٨٩م . ينظر (التناسب بين سور القرآن في تفسير الأساس

وصفات ، فالتزكية في النهاية : تطهر وتحقق وتخلق ، ولذلك وسائله المشروعة ، وماهيته وثمراته الشرعية ، ويظهر آثار ذلك على السلوك في التعامل مع الله عز وجل ومع الخلق ، وفي ضبط الجوارح على أمر الله "[١]

وقال في موضع آخر : " التزكية هي تخليص النفس من نجاساتها ، ومن شهواتها الخاطئة ، وحيوانيتها الهابطة ، ومن منازعها الربوبية وتخليصها من كل أنواع الظلمات ، وإنما بُعث الرسل – عليهم الصلاة والسلام لمثل هذا"[٢]

و عرفها بعضهم بقوله : " نسمي العلم الذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعية ، وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية ، ويدعو إلى كمال الإيمان ، والحصول على درجة الاستحسان ، والتخلق بالأخلاق النبوية ، واتباع الرسولﷺ في صفاته الباطنية ، وكيفيته الإيمانية بـــــ: **التزكية أو الإحسان أو فقه الباطن** "[٣]

في التفسير لـ سعيد حوى) رسالة ماجستير للباحث / إسماعيل رؤوف رشيد سنة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤ م – جامعة أم درمان الإسلامية – جمهورية السودان .

(١) ينظر : المستخلص في تزكية الأنفس للأستاذ سعيد حوى صـ ٣ ط. دار السلام للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة العاشرة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٨.

(٣) ينظر : ربانية لا رهبانية للإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي صـ ١٠ ط. دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

فنلحظ مما سبق : أنه ليس هناك فرق كبير بين التعريف الاصطلاحي والتعريف اللغوي فهو مبني عليه ، ومن أقوال العلماء السابقة في التعريف الاصطلاحي يتبين لنا أن التزكية تعني تطهير النفس من نزعات الإثم والبغي ، وتصفيتها من الرذائل والذنوب ، وتنمية فطرة الخير فيها.

يقول الإمام القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[١] **"**

أي زكى نفسه وطهرها من رجس النقائص والآثام. أو نمّاها بالعلم والعمل والوصول إلى الكمال وبلوغ الفطرة الأولى: وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها أي أخملها ووضع منها، بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله تعالى **"**.[٢]

ثانياً : أهمية تزكية النفس ، وأبرز ملامحها في قصة صاحب الجنتين :

المتأمل في الشريعة الإسلامية يجد أنها دعت إلى تزكية النفوس قولاً وعملاً ، وقد بعث الله الرسل ؛ لتهذيب سلوك الناس ، ولتزكية أنفسهم مما علق بها من ذنوب وأوزار حيث طلب ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام من

---

(١) سورة الشمس الآية رقم (٩)

(٢) ينظر : محاسن التأويل للإمام القاسمي ٩/ ٤٨٢ تحقيق ، محمد باسل عون السود ط. دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

ربــه قــال تعــالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾[1]

وقد استجاب الله دعاءه ، وامتن على أمته في قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[2] ، **وقــد أكــد** القرآن الكريم على الربط بين تزكية النفس وفلاح الإنسان حيث جعل الفلاح في فعلها والخيبة والخسران في إهمالها فقال بعد أطول قسم في القرآن الكريم كله :﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[3] والمعنى : " أن من وفقه الله وأعانه فزكى نفسه أي طهرها بالإيمان والعمل الصالح مبعداً لها عما يدنسها من الشرك والمعاصي فقد أفلح بمعنى فاز يوم القامة وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة لأن معنى الفوز لغة هو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب وأن من خذله الله تعالى لما له من سوابق في الشر والفساد فلم يزك نفسه بالإيمان والعمل الصالح ودساها أي دسسها أخفاها وأخملها بما أفرغ عليها من الذنوب وما غطاها من آثار الخطايا والآثام فقد خاب بمعنى خسر في آخرته فلم يفلح فخسر نفسه وأهله وهو

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٢٩)

(٢) سوره البقرة الآية رقم (١٥١)

(٣) سورة الشمس من الآية رقم (٧-١٠)

الخسران المبين ."[1] وكان رسول الله ﷺ يسأل ربه أن يزكي نفسه ، ويتعوذ به مما يخالف ذلك فكَانَ يَقُولُ: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)[2]

والمتأمل في قصة صاحب الجنتين يجد أن هدفها الأسمى هو تزكية النفس ، و الدعوة إلى التخلي عن الأخلاق الذميمة والسلوكيات الخاطئة ، وإحلال الأخلاق الفاضلة محلها ؛ لتصبح النفس طاهرة نقية ، ويكون صلاحها في الفرد عنوان صلاح المجتمع ، وقد سبق بيان ذلك في الدروس والعبر السابقة المستفادة من القصة.

تعقيبات القرآن الكريم على قصة صاحب الجنتين

تنتقل السورة الكريمة من ضرب المثل الجزئي الشخصي، إلى ضرب مثال آخر عام كلى، فبينت أن الحياة الدنيا في قصرها وذهاب زينتها.. كتلك

---

(١) ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٥/ ٥٧٧ ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٨٨ كتاب الذكر باب التسبيح أول النهار وعند النوم حديث رقم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم .

الجنة التي أصبحت حطاما، بعد اخضرارها وكثرة ثمرها، كما بينت أن هناك زينة فانية، وأن هنالك أعمالا صالحة باقية .[1]

قال- تعالى -:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [2]

والناظر في الآية بإمعان يجد أن ما أصاب الحديقة من سرعة زوال ، فكما تحولت الجنتان بعد نضرة وروعة وثمار متنوعة إلى خراب ودمار حين أتى أمر الله ؛ لأن قدرة الله مطلقة لا يردها راد ولا يمنعها مانع ، وكما خلق الأشياء بقدرته فبقاؤها وزوالها أيضاً بقدرته ، وهذا مثل ضربه الله لكل من اغتر بالحياة الدنيا وزينتها ، كما اغتر صاحب الجنتين بجنتيه ، وغفل عن آيات الله ثم عقب بقوله ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[3] والباقيات الصالحات من الأقوال والأعمال الصالحة هي خير ما يأمله المؤمن عند ربه من الجزاء والثواب ، والعاقل من الناس من يأخذ من دنياه لآخرته فالدنيا ممر والآخرة مستقر. وإلى هذا يشير أحد العلماء فيقول " بينما النفوس متابعة للسياق القرآني ، وبينما هي منفعلة بما جرى للكافر صاحب الجنتين ، وبعد أن

---

(١) ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨/ ٥٢١

(٢) سورة الكهف الآية رقم (٤٥)

(٣) سورة الكهف الآية رقم (٤٦)

عرفت هذه النفوس حقيقة أساسية للحياة البشرية وهي أن الولاية الحق لا تكون إلا لله ، في هذه الأجواء والظلال يضرب القرآن لها مثل الحياة الدنيا تعقيباً على قصة صاحب الجنتين ، حيث دمر الله الجنتين في لحظات ، وطويت صفحة وجودهما ، بعد أن أمل صاحبهما استمرارهما وبقاءهما ، وعدم هلاكهما . لقد كان هذا المشهد المعروض للحياة الدنيا في سورة الكهف سرياً قصيراً متناسقاً مع جو المشهد ، ومناسباً للسياق الذي عُرض فيه . حيث جاء في التعقيب على قصة صاحب الجنتين اللتين اعتمد عليها صاحبهما ، فزالتا في لحظات ، وهما جزء من الحياة الدنيا تزول في لحظات ، وكما خسر صاحب الجنتين فيهما كل شيء كذلك كل من ركن إلى الدنيا ونسي ربه يخسر فيه كل شيء ، لأنه يركن إلى ظل زائل ، ومتاع ذاهب وخيال خادع . والباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة ، واعتبرها القرآن باقية لأنه يبقى أثرها في حياة صاحبها وباقية في المجتمع وأعرافه وعاداته ، وباقية لصاحبها في ميزانه يوم القيامة ، وباقية عندما تؤهله للدخول في الجنة والتنعم الدائم فيها ، والخلود الأبدي في جناتها ، هذه هي الباقيات الصالحات التي يجب أن يهتم بها المسلمون ، وأن يقبلوا عليها ويكثروا منها ."[1]

---

(١) ينظر : مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي صـ ٣٧٤ وما بعدها .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين. وبعد:

فلا يسعني في نهاية بحثي إلا أن أرصد أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وهي كما يلي:

١ - القصة في الاصطلاح مستوحاة من الواقع التاريخي للأمم والشعوب بأسلوب بليغ ، ويظهر لوناً من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم ، وقوة بلاغته، وهي إحدى وسائل تبليغ الدعوة، ومن أكثرها تأثيراً على المدعويين .

٢ - تركز القصة القرآنية على مواضع العبرة والعظة والتذكر؛ للاهتداء بها ، كما تركز كذلك على مواضع الإثم والغواية ؛ لاجتنابها.

٣- من أهم أهداف القصة القرآنية ، تثبيت قلب الرسول ﷺ ، وتقوية ثقة المؤمنين بنصره، وإثبات الوحي والرسالة ، وتعليم المسلمين فضائل الأخلاق ، والاعتبار والعظة قال تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]

٤ - قصة صاحب الجنتين قصة حقيقية وليست رمزية والرجلان اللذان اعتمدت عليهما القصة نموذجان بشريان موجودان في كل عصر .

٥ - تميز مفهوم القصة القرآنية عن المفهوم العام للقصة الأدبية ونحوها.

---

(١) سورة هود الآية رقم (١٢٠)

٦ – التزكية هي تطهير النفس من نزعات الشر والإثم وتنمية فطرة الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها ، وبلوغها درجة الإحسان .

٧- التكرار في القصة القرآنية يكمل أحداثها ، ولا يعيد الحدث نفسه ، ولم يأت التكرار إلا مع قصص الأنبياء والمرسلين ، فقد ينزل الموضع مرتين تعظيماً لشأن ، وتذكيراً له عند حدوث سببه خوف نسيانه.[1]

٨- تعتبر القصة القرآنية مجالاً متجدداً للقيم الإنسانية، والنهوض الأخلاقي، فهي تعالج ما جبلت عليه النفس الإنسانية من غرائز وميول ورغبات، وتبين كيف عالج الأنبياء- عليهم السلام – أحوال الناس وفقاً لهذه الميول والرغبات.

٩- وجوب نصح المغرورين المخدوعين بما هم عليه من النعيم، وتحذيرهم من عاقبة ما هم فيه ومطالبتهم بشكر المنعم، واستعمال النعمة في طاعته.

١٠- البعد عن الكبر والغرور ، والحذر من فتنة المال لهما أثر كبير في تزكية النفس البشرية والسمو بها ولابد أن يكون الهدف الأساسي من تزكية النفس رضا الله تعالى .

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ١/ ٢٩ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م الناشر دار إحياء الكتب العربية / عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١١ – مشروعية قول الرجل إذا رأى شيئاً أعجبه في نفسه أو في آخرين ، أن يقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) فهي عبارة إيمانية قرآنية بها يشكر الإنسان ربه ويسعى إلى دوام النعم .

١٢ – الولاية الحقة لا تكون إلا بالله، فكل من اعتز بالله وجد عنده ما يريد، وأن الذي يبتلي ويعاقب هو الله– تعالى – .

وبعد :

فمازال مجال التفسير مجالاً بكراً ، وتربته خصبة للدراسات الجادة الهادفة التي ترشد الناس لأهمية الالتفاف حول مائدة القرآن الكريم للهداية والاسترشاد بهديه في كل صغيرة وكبيرة من جوانب الحياة المختلفة ؛ حتى نحقق الأهداف المرجوة ونفوز برضا الله وبالسعادة في الدارين

هذا : والله أسأل أن يرزق هذا البحث القبول الحسن ، وأن ينفع به كل من قرأه ، والحمد لله في الأولى والآخرة ، وله الفضل والنعمة والثناء الحسن الجميل ، على جليل امتنانه وعظيم إحسانه وكريم إنعامه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم تأليف الإمام / أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت –
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ط. الخامسة عشر الناشر / دار العلم للملايين سنة ٢٠٠٢م
- البحر المحيط تأليف الإمام / أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) تحقيق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ط. دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- البرهان في علوم القرآن تأليف الإمام / أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر المتوفى سنة ٧٩٤ هـ تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / سنة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م الناشر / دار إحياء الكتب العربية عيسى الباب الحلبي و شركائه.
- البيان القصصي في القرآن الكريم للدكتور / إبراهيم عوضين ط. دار الأصالة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف / محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي المتوفى سنة : ١٢٠٥ هـ دار الفكر - بيروت الأولى ١٤٤٠هـ.
- تأملات في قصة أصحاب الكهف للأستاذ الدكتور / أحمد محمد الشرقاوي – أستاذ التفسير وعلوم القرآن – بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.
- التحرير والتنوير تأليف الإمام / محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ . الناشر/ الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م.
- تراث أبي الحسن الحُرَالِّي المراكشي في التفسير طبعة منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط تحقيق الأستاذ محمادي عبد السلام الخياطي الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- التعريفات تأليف / أبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف . المتوفى سنة ٨١٦هـ ط. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ١/ ٢ طبعة بولاق (الأميرية)

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف / السيد محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٩٣٥ م طبعة / الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٠م
- تفسير اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م
- تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تأليف / أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي ط دار الفكر المعاصر الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ط. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.
- تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني

(المتـوفى: ١٢٥٠هــ) النـاشر: دار ابـن كثـير، دار الكلـم الطيـب - دمشق، بيروت.

- التناسـب بـين سـور القـرآن في تفسير الأسـاس في التفسير لـ سـعيد حـوى، رسـالة ماجستير للباحـث / إسـماعيل رؤوف رشـيد سـنة ١٤٣٦هــ/ ٢٠١٤ م – جامعـة أم درمـان الإسـلامية – جمهوريـة السودان .
- تيسير التفسير إبراهيم القطان – بدون–
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري / تـأليف الإمـام / محمـد بـن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المتوفى سنة (٢٥٦) هـ طبعة / دار طوق النجاة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر.
- الجامع لأحكام القرآن تأليف الإمام / أبي عبد الله محمـد بـن أحمـد بـن أبي بكـر بـن فـرح الأنـصاري الخزرجي شـمس الـدين القرطبـي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق الأستاذ أحمد البردوني إبـراهيم أطفـيش ط. دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- جمهرة اللغة لأبي ببكر محمد بن الحسين بن دريد ط. دار العلم للملايين الأولى ١٩٨٧م تحقيق / رمزي بعلبكي.
- دراسات في علوم القرآن للدكتور / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي طبعة دار العصيمي للطباعة والنشر.
- ربانية لا رهبانية للإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ط. دار الفتح للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) تحقيق / على عبد الباري عطية ط. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
- الزاهر في معاني كلمات الناس / تأليف محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ه تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، الناشر/ مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة / الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر بن الأنباري ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
- شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور ط. الدار العربية للكتاب - تونس – سنة ٢٠٠٨م .

- الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم للدكتور / رمضان خميس الغريب طبعة دار الحرم للتراث ٢٠٠٣م.
- طبقات المفسرين للحافظ محمد بن علي الداودي ، تحقيق على محمد عمر ط . الاستقلال الكبرى – القاهرة – سنة ١٣٩٤ هـ .
- علوم القرآن الكريم للدكتور/ نور الدين محمد عتر الحلبي طبعة مكتبة الصباح – دمشق – الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م
- علوم القرآن للدكتور / عبدالله شحاته طبعة دار غريب للطباعة والنشر سنة ٢٠٠٢م
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ط. دار ومكتبة الهلال تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي.
- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ط. المكتبة العصرية للطباعة والنشر – صيدا – بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين/ ط. دار الشروق الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- قصص القرآن محمد أحمد جاد المولى وآخرون ط. دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – ط. دار إحياء التراث.

- قـصص القـرآن الكـريم مـن آدم عليـه الـسلام إلى أصـحاب الفيـل للدكتور محمد بكر إسماعيل الطبعة الثانية ط. المنار سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث تأليف د. صلاح الخالدي طبعة دار القلم الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- القـصص القـرآني في منطوقـه ومفهومـه للأسـتاذ / عبـد الكـريم الخطيب ط دار المعرفة بيروت سنة ١٩٧٥م.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف لعبد الكريم الخطيب ط. دار المعرفة – بيروت – لبنان –.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعين الأقاويل في وجوه أهل التأويل تأليف / الإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله المتوفى سنة ٥٣٨ هـ الناشر دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة / الثالثة سنة ١٤٠٧هـ .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي تحقيق/ عدنان درويش – محمد المصري ط. مؤسسة الرسالة – بيروت –
- لسان العرب تأليف الإمام محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر/ دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة -١٤١٤هـ.

- مائة سؤال عن الإسلام للشيخ محمد الغزالي ط. نهضة مصر القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- مباحث في التفسير الموضوعي للدكتور مصطفى مسلم ط. دار القلم الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .
- مباحث في علوم القرآن للدكتور / مناع القطان طبعة دار المعارف للنشر والتوزيع – الرياض
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تأليف الإمام / أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) الناشر مكتبة القدس – القاهرة – سنة النشر ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- محاسن التأويل للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق ، محمد باسل عون السود ط. دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- مختار الصحاح / تأليف زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) تحقيق / يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - بيروت – ١٤٢٠هـ.
- المستخلص في تزكية الأنفس للأستاذ سعيد حوى الناشر / دار السلام للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة العاشرة .
- مسند أحمد بن حنبل / تأليف الإمام / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني المتوفى سنة (٢٤١) / تحقيق الشيخ أحمد شاكر الناشر دار الحديث القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم تأليف الإمام / مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف الإمام / أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس المتوفى: سنة ٧٧٠هـ الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت.
- مع قصص السابقين في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي ط. دار القلم – دمشق – الطبعة الخامسة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب تأليف / الإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري المتوفى سنة ٦٠٦هـ . الناشر / دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة/ الثالثة سنة ١٤٢٠هـ
- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق / صفوان عثمان الداودي ط. دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت.

- نظرات شرعية في فكر منحرف للأستاذ سليمان صالح الخراشي مكتبة النهضة القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٧/ ٢٠٠٧م
- نظرات في أحسن القصص للدكتور / محمد السيد الوكيل ط. دار القلم – سوريا – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور تأليف الإمام / إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النهج القويم في دراسة علوم القرآن الكريم للدكتور/ عبد الغني عوض الراجحي طبعة عيسى الباب الحلبي.
- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور / محمد محمود حجازي طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٠م
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ط. دار صادر – بيروت

فهرس

